صُورة المرْأة
في
شِعْر الشرِيف الرضي

● د. نورة الشملان ●

تمهيد:

صورة المرأة في الغزل العربي منذ الجاهلية حتى عصر الشريف:

يحتل الغزل جزءاً كبيراً من الشعر العربي منذ الجاهلية حتى القرن الرابع الذي عاش فيه الشريف الرضي. ولعله من نافلة القول أن نذكر أن معظم الشعراء قد اتخذوا من الغزل مفتاحاً لقصائدهم في أغراضها المختلفة، وقد علل ابن قتيبة هذه الظاهرة بقوله «لأن النسيب قريب من النفوس لايط بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وألف النساء»(١).

هذا بالنسبة للشعراء الذين لم يجعلوا الغزل غرضًا مستقلاً وإنما جعلوه مفتاحًا للأغراض الأخرى وبخاصة المديح.

أو كما قال ابن رشيق: «هو باب لعمل الشعر وشحذ القريحة». وقد روى لنا ابن رشيق أن ذا الرمة حين سئل كيف يعمل إذا انقفل دونه الشعر؟ فقال: «كيف ينقفل الشعر دوني وعندي مفاتيحه، قيل له: وعنه سألناك ما هو، قال: الخلوة بذكر الأحباب»(٢).

وتنوع حديث الشعراء عن المرأة والتغزل بها فسلك أكثرهم طريق الوقوف على أطلال المحبوبة ووصف ارتحالها والبكاء على فراقها.

ومن الشعراء من سلك طريق وصف محاسن المحبوبة والوقوف عند مفاتنها الجسدية. وتحدث بعضهم عن رأيه في المرأة والشكوى من الحب والتلذذ بعذابه.

وسأتجاوز ما قاله الشعراء في الوقوف على الأطلال وبكاء الديار لأقف عند تصوير أحدهم لجمال حبيبته ووصف محاسنها وهو النابغة الذبياني الذي قال:

نظرت بمقلة شادن مُتربّبِ   أحْوى أحَمّ المُقْلتَين مُقلَّدِ
صَفْراءَ كالسِّيَراء أُكْمِل خلقُها   كالغُصْنِ في غُلوائِه المتأوِّدِ
مُحطوطَةُالمتنَينِ غَيرُ مُفاضَةٍ   رَيّا الرّوادف بَضّة المُتَجرِّد
قامت تراءَى بين سَجفَيْ كِلَّة   كالشّمس يوم طُلوعها بالأسْعُد
أو دُرَّةٍ صَدَفِيَّةٍ غَوَّاصُها   بَهِجٌ مَتَى يَرَها يُهِلّ ويَسْجُد
أو دُميةٍ من مَرْمَرٍ مَرفُوعَة   بُنِيَتْ بآجُرٍّ يُشاد وقَرْمَد
سَقطَ النّصيف ولم تُرِد إسقاطَه   فتناولته، واتّقَتْنا باليَد
بِمُخضَّبٍ رَخْصٍ كأنَّ بنانه   عَنَم على أغصانه لم يعقد
نظَرَتْ إليك بحاجة لم تقضها   نظَرَ السّقيم إلى وجوه العُوَّد
تَجْلو بقادِمَتَي حَمامةِ أيْكَةٍ   بَرَداً أُسِفَ لِثاتُه بالاثمَد
كالأُقحوان غداة غِبّ سَمَائِه   جَفَّتْ أعاليه، وأسفله ندي
لَوْ أنها عرضتْ لأشمطَ راهبٍ   يخشى الإله، صَرورةٍ، متعبِّد
لرنا لبهجتها وحسن حديثها   ولخالها رشدا وان لم يَرْشَد(٣).

ولا شك أن النابغة قد وقف أمام محبوبته متأملاً مواطن الفتنة في ملامحها فهي سوداء العينين، حواء الشفتين متزينة بالحلي، تميل بشرتها إلى الصفرة، معتدلة القامة، مليئة الأرداف ‘متمايلة كغصن البان، كالشمس في إشراقها وكالدرة الثمينة التي حصل عليها غواصها بعد جهد جهيد فهلل وكبر سروراً وغبطة.

ينتقل بعد ذلك إلى حركاتها فهي ليست تمثالاً جامداً فهو ينفخ فيها روح الحياة من خلال وصفه لحركتها حين سقط خمارها فتناولته وحجبت وجهها عن الشاعر بيديها وهنا تطالع الشاعر صورة أخرى لجمالهاوهي صورة كفها فيشبّه رؤوس أصابعها المخضبة بالحناء بالعنم وهو شجر له ثمر أحمر وقد أكثر الشعراء من تشبيه أصابع محبوباتهم به.

ثم ينتقل إلى نظرتها فيشببها بنظرة المريض إلى وجوه زوّاره وعوّاده، فهي نظرة فيها امتنان وفيها شكر وفيها ضعف.

ينتقل بعد ذلك إلى ثغرها وما بداخله فيشبّه أسنانها بالبرد الذي رُصّ على لثة سمراء. فهو يعتمد على التضاد اللوني كما نرى في تصوير جمال محبوبته، ويبدو أن تشبيه أسنان محبوبته بالبرد لم يشف غليله فراح يشببها بالأقحوان الذي غسلته الأمطار فبدا ندياً نظيفاً.

إذن لا عجب أن يفتن هذا الجمال أكثر الناس زهداً بالملذات وأبعدهم عن اقتناص الحسان والسعي خلفهن.

لقد دار كثير من الشعر الجاهلي في فلك هذه الأوصاف والتشبيهات. وعودة سريعة إلى المعلقات العشر تؤكد لنا أن أذواق الشعراء كانت متقاربة في تمثل الجمال الجسدي عند المرأة ولا شك أنها نظرة تمثل الذوق العام للجمال الأنثوي، أما ما سجله الشعراء الجاهليون على أنفسهم من أحاسيس فيمكن أن نقول إن البكاء على الأحبة بعد الفراق يمكن عدَّه أمراً مشتركاً بينهم.

فامرؤ القيس يقول:

ففاضت دموع العين منّي صبابة   على النحر حتى بَلَّ دمعي محملي(٤)

وطرفة يحاول أن يتماسك وأن يصمد وأن يستمع لأقوال الناصحين ويعبّر عن ذلك بقوله:

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم   يقولون لا تهلك أسى وتجلد(٥)

أما عمرو بن كلثوم فقد عبر عن وجده بصاحبته أم عمرو بالقول:

فما وجدت كوجدي أمّ سغب   أضلته فرجعت الحنينا
شمطاء لم يترك شقاها   لها من تسعة إلا جنينا(٦)

فحزن هذه الناقة التي أضلت ولدها وحزن العجوز التي فجعت بأبنائها التسعة لا يمكن أن يصل إلى مقدار حزن الشاعر وقد فجع بفراق حبيبته.

ومن العصر الجاهلي ننتقل إلى العصر الإسلامي ولسنا بحاجة إلى الحديث عن أثر الإسلام في تهذيب النفوس وتوجيه الشعر إلى الدفاع عن الإسلام ولن نتحدث عن تأثير الإسلام على الشعر فليس هذا من اختصاصنا في هذا البحث وحسبنا أن نقول إن أكثر الشعراء في هذا العصر قد تخففوا كثيراً من المقدمات الغزلية وإن غزلهم أصبح أكثر تهذيباً وأقل تعرضاً للحديث عن الجمال الحسي الذي عودنا عليه الشعراء الجاهليون ولم يتجاوز شعراء هذا العصر ماقاله حسان بن ثابت في وصف حلم رآه إذ قال:

تبلت فُؤادك في المَنَامِ خريدةٌ   تشفي الضجيعَ ببارِدٍ بسام
كالمِسك تخلطه بماء سَحابةٍ   أو عاتِقٍ كَدَمِ الذَّبيحِ مُدَامِ(٧)

ولا بد أن نقرر أن الشعر عموما قد قلّ في صدر الإسلام وقد اختلفت الآراء في تعليل هذه الظاهرة فذهب ابن سلام إلى القول «...جاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته»(٨)

وذهبت طائفة من النقاد المحدثين إلى أن سبب قلة الشعر في صدر الإسلام يعود إلى انبهار العرب ببلاغة القرآن وفصاحته(٩)، على حين ربط بعضهم ظاهرة قلة الشعر بموقف الإسلام منه حين نفى أن يكون الرسول ﷺ شاعراً فأدى ذلك إلى جعل

الناس ينظرون إلى الشعر على أنه تقليد جاهلي فابتعدوا عنه(١٠)

لن نطيل الحديث عن الشعر في صدر الإسلام وحسبنا أن نؤكد أن الشعر قد تهذب كثيراً وابتعد عن الوصف الحسي للمرأة.

وفي العصر الأموي نلتقي برائدي مدرستي الغزل وهما جميل بن معمر العذري وعمر بن أبي ربيعة وقد امتاز حب جميل لبثينة بالصدق والعفة والتلذذ بالعذاب ومن أجمل ما قاله في ذلك:

علقت الهوى منها وليدا فلم يزل   إلى اليوم ينمي حبّها ويزيد
فلو تكشف الأحشاء صودف تحتها   لبثنة حبّ طارف وتليد
يذكرنيها كلّ ريح مريضة   لها بالتلاع الغاويات وئيد(١١)

وصورتها لا تفارق خياله فيقول:

فما غاب عن عيني خيالك لحظة   ولا زال عنها والخيال يزول(١٢)

وقد قرأت ديوان جميل من أوله إلى آخره ولم أجد فيه صورة لبثينة ولم أجد وقوفاً عند محاسنها الجسدية وإذا قال شيئاً من ذلك فهو لا يعدو أن يكون بيتاً عابراً ينتقل منه إلى الحديث عن تأثير حبها والشكوى من بعدها.

على حين نجد أن عمر بن أبي ربيعة قد قلب موازين الغزل فجعل من نفسه معشوقاً تتهافت عليه النساء وتغزَّل بنفسه كما تغزَّل بالمرأة ومما قاله في ذلك:

للتي قالتْ لأتْرابٍ لَها   قُطُف فيهنَّ أُنسٌ وَخفَرْ
قد خلَونا فَتمنَّينَ بِنا   إذْ خلونا اليَومَ نُبدي ما نُسِرّ
فَعَرفْنَ الشَّوقَ في مَقْلتِها   وَحَبابُ الشَّوقِ يُبدِيه النَظَرْ
قُلْنَ يسترضينَها: مُنْيَتَنا   لو أتانا اليَوم في سِرّ عُمَرْ
بينما يَذكُرنني أبْصَرنَني   دونَ قيد الميلِ يعدو بي الأغَرْ
قالت الكبرى أتعرفن الفتى   قالت الوسطى: نعم هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيّمتها   قد عرفناه، وهل يخفى القمر!
ذا حَبيبٌ لَمْ يعرجْ دونَنا   ساقهُ الْحَينُ الَينا والقَدَرْ

فأتانا حيـنَ أَلقـى بَرْكَـه   جَمَـلُ اللّيـل عَلَيـه واسبطـرْ
ورُضاب المسك مـن أثوابـهِ   مَرْمَـرَ المـاء عليـه فَنَطَـرْ
قَـدْ أتانـا مـا تَمَنَّينـا وَقَـدْ   غُـيِّبَ الأبـرام عَنّـا والْقَـذر

إن عمر في هذه الأبيات قد نقل لنا ما يدور في نفوس هؤلاء الفتيات وقد استعار جميع عناصر الجمال التي شبه الشعراء بها محبوباتهم لنفسه فالذي عهدناه من الشعراء أن يشبهوا محبوباتهم بالقمر وعمر هنا جعل من نفسه قمراً وعهدنا بالشعراء أن يتحدثوا عن المحبوبة المتطيبة بالمسك كما قال امرؤ القيس:

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها   نؤم الضحى لم تنتطق عن تفضل(١٤)

وعهدنا بالشعراء انتظار المحبوبة والتشوق إلى لقائها وعمر عكس الصورة بل انه يجعل المرأة هي التي تبحث عنه وتطلب منه الزيارة إذ يقول:

أرسلت هنـد إلينـا رسولاً   عاتباً أن مـا لنـا لا نراكـا(١٥)

ويجعل غاية أماني النساء رؤيته حين يقول:

وأنهـا حلـفت باللـه جاهـدةً   وما أَهَلَّ له الحُجّاجُ واعتمـرَوا
ما وافق النفسَ من شيءٍ تُسَرُّ به   وأعـجَبَ العيـنَ إلا فَوَقـه عمـر

إن معظم شعر عمر بن أبي ربيعة يدور حول هذه المعاني فهو مفتون بنفسه قبل أن يفتن بالنساء. ولا نريد أن نبحث في علة هذا الفتون فقد سبقنا إلى ذلك الكثيرون(١٧).

ونكتفي بهذه اللمحة السريعة عن الغزل في العصر الأموي لنلتقي بشعراء الغزل في العصر العباسي وهم كثيرون وشعرهم مزيج من فنون الغزل التي قرضها أسلافهم.

وإذا استعرضنا بعض الأسماء التي ارتبطت بالغزل برز أمامنا اسم العباس بن الأحنف الذي وهب ديوانه للمرأة فلم يجعل لها شريكاً إلا في القليل النادر والعباس يعرض لنا فنوناً من الغزل فنراه في بعض شعره يعزف على قيثارة جميل كقوله:

واسكت كي يخفى الذي بى من الهوى   فتشكو إلى الناس العِظامُ النواحلُ
وأَكْتُمُ جَهْدي ما أُجِنّ من الهوى   فتنشر ماأخفي الدموعُ الهوامِلُ(١٨)

ولكنه ينسج على منوال عمر بن أبي ربيعة حين يقول:

كم من كواعب ما أبصرن خطّ يدي   إلا تشهَّين أن يأكلن قرطاسي(١٩)

أو قوله:

إذا لمتها قالت: وعيشك إننا   حراص ولكنّا نخاف ونشفق
وإن كنت مشتاقا إلى أن تزورنا   فنحن إلى ما قلت من ذاك أشوق(٢٠)

أما الصورة التي رسمها العباس لصاحبته فيمثلها قوله:

إني طربت إلى شمس إذا طلعت   كانت مشارقها جوف المقاصير
شمس ممثلة في خلق جارية   كأنما كشحها طيّ الطَّوامير
ليست من الأنس إلا في مناسبة   ولا من الجنّ إلا في التصاوير
والجسم من لؤلؤ: والشعر من ظلم   والنشر من مسكة والوجه من نور
إن الجمال حبا «فوزاً» بخلعته   حذواً بحذوٍ وأصفاها بتحوير
كأنها حين تمشي في وصائفها   تخطو على البيض أو خضر القوارير(٢١)

لقد شبه صاحبته بالشمس في بيتين متتاليين ذلك لأنه أراد التركيز على بياضها المشوب بالصفرة وهو لون العرب المفضل وحقق لها الإشراق والضياء حين جعلها كاللؤلؤ بياضاً وإشراقاً ورقّةً أما شعرها فكالليل سواداً وكثافة وطولاً.

وشاعرنا مترف في وصفه إن جاز هذا التعبير. فصاحبته متطيبة بالمسك تمشي الهوينا بين وصيفاتها كأنها تمشي على صرح ممرد من قوارير. وصورة المشي الهوينا هذه قديمة كما مر بنا أما مشيها على القوارير فهي من مظاهر ترف العباسيين.

لقد وقفت طويلاً عند العباس بن الأحنف وجعلته ممثلاً للفترة التي سبقت ظهور الشريف الرضي لأنني وجدت تقارباً بين الشاعرين في الغزل يسمح لنا بأن نقول إن الشريف كان أحد تلامذة العباس فكلاهما خص المرأة بشعر رقيق معبر وكلاهما وضعها في المكانة الرفيعة ولم يمتهنها كما امتهنها أكثر شعراء عصره وكلاهما شكا الحرمان. وكانت لديه قدرة على تصوير آلامه وأصدائه، وكلاهما عرض صوراً مختلفة

من الحب وأكثر من الحديث عن عفته وطهره، وكلاهما تميز أسلوبه بالسهولة الممتنعة والنفس الطويل في بث لواعج العشق. وكلاهما صاغ شعر الغزل بلفظ عف وأسلوب بعيد عن الخنا.

وأخيراً فإن كلا الشاعرين كانَ مغنياً لنفسه فلم يمدح ولم يقف بشعره موقف البائع كما فعل أكثر شعراء العصر اعتزازاً بأنفسهم كأبي تمام والمتنبي. وكلاهما لم ينهك قواه الفنية إن صح هذا التعبير في الهجاء والاعتذار وإنما وفَّرها للحديث عن قلبه وما يحس به من جوى ويكابده من لوعة.

لم أقصد في هذه المقدمة أو اللمحة السريعة الموازنة بين العباس والشريف وإن كان موضوع الموازنة بينهما من الطرافة واللذة والفائدة بمكان. ولكنني أردت أن أمهد للحديث عن صورة المرأة في غزل الشريف مع النظر بعين الواقع لصورتها عند شاعر قاربه في المذهب وفي الزمان.

● صورة المرأة في شعر الشريف الرضي ●

١ ـــ الشريف الرضي:

لمحة عن حياته وبعض أخباره:

اسمه أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين الطاهر يرتقي بنسبه إلى موسى الكاظم ثم إلى الحسين بن علي. ولد ببغداد سنة ٣٥٩هـ وتلقى تعليمه على يد السيرافي النحوي المشهور وأبي الفتح بن جني أبرز علماء اللغة في عصره. لقَّبه الخليفة القادر بالله بالرضي. اشتهر بأدبه وحسن أخلاقه وقوة شاعريته التي تجمع بين السلاسة والمتانة والسهولة والرصانة. درس القرآن وحفظه في مدة يسيرة وصنَّف كتاباً في معاني القرآن وآخر في مجازاته. تولى نقابة الطالبين مع أبيه والنظر في المظالم والحج بالناس. وكان طموحاً سجل في ديوان بُعْدَ همَّته وسعيه للمجد وكفاحه من أجله(٢٢).

وسأقف عند أبيات قالها الشاعر سنة ٣٧٤هـ يوم كان له من العمر خمسة عشر عاماً وهي من قصيدة طويلة بلغ عدد أبياتها ستة وخمسين بيتاً كلها في الحديث عن

جلده ومعاناته وصبره على الملمات وفيها اعتراف حزين بأن طريق المجد أمامه مسدود والقصيدة تظهر الفتى صغير محارباً لا يهاب ولا يرتاب ولك همه أن يبلغ الأمل الذي يراوده يقول :

قَطَعْتُ مَفَازَةَ هذا الرَّجاء   ولكنَّ جدى بعيدُ المرام

……

أما عانقتني صدورُ السيوف   أما قبلتني نصولُ السهام

……

وإنّي شقيقُ الوَغَى والنَّدى   رَضيعُ لَبانِ المعالي الجِسام
إذا مُضَرٌ ظللتني القنا   وسالت قبائلها من أمامي(٢٣)

لا أريد أن أطيل في الحديث عن فخر الشريف بنفسه فالحديث عن هذا الغرض يحلو ويطول وهو يشكل جزءاً كبيراً من ديوانه، ولكنني أردت أن أنبّه إلى أن هذا الشاعر الذي خص المرأة بنصيب من ديوانه كانت تتنازعه آمال وطموحات، ولم يكن من الذين تفرغوا للنساء على الرغم من أنه عاش في العصر العباسي الذي كثرت فيه مظاهر الترف، وتنوعت أجناس الجواري وكثرت فيه مجالس اللهو والسمر ولكن الشريف لم يكن كذلك. بل كان علماً بارزاً من أعلام الثقافة في عصره فقد أثرى المكتبة العربية بالمؤلفات القيمة التي تعكس تنوّع ثقافته وسعتها ومن مؤلفاته:

١ ــ أخبار قضاة بغداد.
٢ ــ تلخيص البيان عن مجازاة القرآن.
٣ ــ الحسن من شعر الحسين (مختارات من شعر الحسين بن الحجاج).
٤ ــ حقائق التأويل في متشابه التنزيل.
٥ ــ خصائص الأئمة.
٦ ــ الزيادات في شعر أبي تمام.
٧ ــ المجازات النبوية وهو كتاب يحتوي على ٣٦٠ حديثاً نبوياً(٢٤).

وهكذا نجد أن هذه المؤلفات المتنوعة تشهد شهادة لا تقبل الجدل على أن شاعرنا كان يعيش حياة جادة ولم يبتعد عن الحق أحد نقاده حين قال «تربّى الشريف على

الفضيلة وتفقه في الدين وأشرب حب الأدب.. وقد كونت عوامل البيئة من الشريف فقيهاً واسع العلم مضطلعاً بعلم المواريث ولم توجه إليه فتوى أعجزته ولا مسألة أمضته...»(٢٥).

ووصف محمد مهدي البصير شخصية الشريف فقال « هو رمز الإباء والأنفة وعنوان المروءة والعفة ورجل الشجاعة والشهامة. تلتقي في شخصه النبيل خفة روح الأديب بعفة الناسك المتقشف وأريحية الشاعر الهائم في أودية الخيال بالمعية الإداري الحازم القمين بمعالجة عظائم الأمور، ولولا اجتماع هذه المزايا النادرة المتضادة في شخصه لما آثره ولاة الأمور بأرفع المناصب السياسية والإدارية والدينية وأخوه الشريف المرتضى الذي يفضله علماً ويكبره سناً على قيد الحياة»(٢٦).

ووصف الدكتور إحسان عباس شخصية الشريف بعد أن درسه دراسة مستفيضة في كتابه (الشريف الرضي) فقال: «كان شديد الشعور بذاته مستعلياً على ما حوله، مؤمناً أنه خلق لتأدية دور عظيم في الحياة وأنه لن يطول انتظاره حتى يتاح له أن يكون كما يريد ويحس أنه لا يرى حتى الأيام نفسها أهلاً لمدحه لو ضمنت كل ما يقترحه عليها...»(٢٧).

وبودي أن أقف عند هذه الأبيات التي قالها الشريف واصفاً نفسه وهي من قصيدة قالها في مدح الخليفة الطائع سنة ٣٧٧هـ.

مالي بغير العُلى في الأرضِ مَضْطَرَبٌ   ولا لجنبي بغيرِ العزِّ تمْهيدُ

……………………   ……………………

شغلت بالهَمِّ حتى ما يُفَرحُني   لولا الخليفةُ نُورُوزٌ ولا عِيْدُ
مُحَسَّدُ المجدِ مغبوطٌ مناقبُه،   متيمُ القلبِ بالعلياءِ معمُودُ
كريم ما ضمّ بُرداهُ وعمتُهُ   عفيفُ ما ضُمنت منه المراقيدُ
مطَّهرُ القلبِ إلا انهلتْ مدامِعهُ   وجداً، وما حقَّر الأنفاسَ تصعيدُ
ما راق عينيه إلاّ ما أقرهُما   من المكارِمِ، لا عينٌ ولا جيدُ(٢٨)

إن ديوان الشاعر يبوح بأسراره ويظهره عاشقاً للعين والجيد أحياناً. وفي الصفحات المقبلة سنقف عند بعض الأبيات التي سجلها الشاعر على نفسه في هذا المجال.

على كل حال فقد كانت آماله الواسعة مصاحبة لحياة قصيرة إذ توفي سنة ٤٠٦هـ

وله من العمر سبع وأربعون سنة ودفن في الكرخ ثم نقل إلى كربلاء(٢٩).

٢ ــ علاقة الشريف بالمرأة:

فإن أول ما يطالعنا من علاقة لشاعرنا بالمرأة تلك القصيدة التي قالها الشاعر في رثاء أمه فاطمة بنت الناصر التي توفيت سنة ٣٨٥هـ. وهي قصيدة زاخرة بالأنفاس الحارة تتفجر بين ثناياها الدموع الصادقة وتتغلغل بين أبياتها الحسرات والأشجان والآلام فهو يقول:

أبكيك لو نقع الغليلَ بُكائي   وأقولُ لو ذهب المقالُ بِدائي
وأعوذُ بالصبر الجميل تعزياً،   لو كان بالصبر الجميلِ عزائي
طوراً تُكاثرني الدموعُ، وتارةً   آوي إلى أكرُومتي وحيائي
كم عبرةٍ موهتُها بأناملي،   وسترتُها متجملاً بردائي
أبدي التجلّد، للعدوّ، ولو درى   بتململي لقَد اشتفَى أعدائي
ما كنت أذخر في فداك رغيبه،   لو كان يرجع ميّتٌ بفداءِ(٣٠)

……

فارقت فيك تماسكي وتجمُّلي،   ونسيتُ فيك تعزُّزي وإبائي
قد كنت آملَ أن أكون لكِ الفِدا   ممَّا ألَمَّ، فكُنتِ أنتِ فِدائي

فشاعرنا مستسلم لعاطفته ولجزعه كالطفل المفجوع حيناً ويحاول أن يتماسك وأن يتذرع بالصبر حيناً آخر.

والقصيدة طويلة تتألف من ثمانية وستين بيتاً وزعها بين بكائه عليها وتصوير الفجيعة بفقدها ومحاولة التذرع بالصبر خوفا من شماتة الأعداء. وما يهمنا هنا هو تصويره لها ومن هذا التصوير نستنتج الصورة التي أرادها الشريف للأم يقول:

أنضيت عيشكِ عفةً وزهادةً،   وطُرحتِ مُثقلةً من الأعباءِ
بصيامِ يومِ القيظ تلهَبُ شمسُهُ،   وقيامِ طُولِ الليلةِ الليلاءِ

……

لو كان مثلكِ كُلُّ أمٍ بَرَّةٍ   غني البَنون بها عن الآباء
كيف السلوُّ، وكل موقعِ لحظة   أثرٌ لفضلِكِ خالِدٌ بإزائي(٣١)

فالشريف يسبغ على أمه كل الصفات المثالية فهي ورعة، تصوم نهارها وتقوم ليلها

وهي عفيفة طاهرة أمضت حياتها في رعاية ابنها حتى سقطت من الإعياء وآثارها حوله خالدة، فهي تذكره بها فتجعل جرحه دائم النزف، وتجعل دمعه مستمراً وحزنه متواصلاً. ومن يقرأ القصيدة يشعر بالرابط الوثيق والصلة الحميمة التي تجمع بين الشاعر وأمه ويحس أيضا بالثكل والضياع الذي قاساه الشاعر بفقده إياها ويعبر عن حاجته إليها حين يقول:

فبأي كفٍ أستجنُّ وأتقي   صرفَ النوائِبِ أم بأيِّ دُعاءِ
ومن المموّلُ لي، إذا ضاقت يَدي   ومن المعلّلُ لي من الأدواءِ
ومن الذي إن ساورتني نكبةٌ   كان المُوقِي لي من الأسواءِ
أم من يلطّ عليَّ سِتر دعُائِه،   حَرَماً من البأساءِ والضراءِ
رزآن يزدادانِ طولَ تجدّدِ   أبد الزمان: فناؤها وبَقائي

فشاعرنا قد ابتلى برزءين موت أمه وبقائه حياً بعدها وهذا أبعد ما وصل إليه إنسان يبكي عزيزًا.

ويُعبِّر شاعرنا عن عمق الرابطة والمحبة التي جمعت بينه وبين أمه حين يقول:

قد كنت آمل أن يكون أمامها   يومي وتَشْقُقُ أن تكونَ وَرَائي

ولكن الله اختار للشريف أن يذوق مرارة اليتم فيبكي أمه وكان يتمنى أن يفديها بنفسه.

إن لهذه القصيدة مكانة ومنزلة خاصة في شعر الشريف لأن الشريف، الذي عودنا أن يظهر في شعره بمظهر البطل المغرم بالمجد الهائم بالعلياء والساعي إلى معالي الأمور، يتخلى عن ذلك ويبدو ضعيفاً باكياً تائهاً في دنيا لا يجد لها طعماً، وإذا كان شاعرنا قد اشتهر بتغنيه بنفسه وبقوته التي ترهب الأعداء فإنه هنا يبدو ضعيفاً وحيداً يبكي أمه بكاء الأطفال ويندبها ندب النساء الثكالى.

إن ضعفه أمام هذا الحدث يذكرنا بضعف فارس آخر هو أبو فراس الحمداني عندما فقد أمه وهو في الأسر.

لقد تخلى الشاعران عن مظاهر القوة التي اشتهرا بها، فكلاهما فقد بموت أمه من يدعو له ويرعاه، وكلاهما أسبغ على أمه جميع الصفات المثالية، وكلاهما أجاد في التعبير عن حزنه وكلاهما بكى واستبكى.

ولكي نؤكد التشابه بينهما نورد أبياتاً من قصيدة أبي فراس يقول:

إذا ابنك سار في بر وبحر   فمن يدعو له أو يستجير
إلى من أشتكي ولمن أناجي   إذا ضاقت بما فيها الصدور
بأي دعاء داعية أوقي؟   بأي ضياء وجه استنير
بمن يستدفع القدر الموفي   بمن يستفتح الأمر العسير
نسلى عنك أنا عن قليل   إلى ما صرت في الأخرى نصير(٣٢)

لقد مثَّل الشاعران الضعف الإنساني أمام الحدث الجسيم.

ومن صورة الأم عند الشاعر ننتقل إلى صورة الأخت، وتطالعنا هذه الصورة في مرثيته لها التي بلغ عدد أبياتها ستة وسبعين بيتاً .

والقصيدة توضح الصلة الحميمة التي تجمع بين الشريف والفقيدة، وأبياتها تصرخ بالجزع على فقدها والألم لفراقها يقول:

ما كنت أحسبُ يوماً،   والدَّهـ ـرُ ضَرْبٌ وضَرْبُ
أني أبيتُ وبيني   وبين لقياكِ سَهْبُ
وأن تطاردَ ما بيـ   ـننا زعازِعُ نُكْبُ(٣٣)

ويكرر لأخته الصفات التي خلعها على أمه من عفة وصون فيقول:

وقبرُكِ الصونُ من قبـ   ـلِ أن يَضُمكِ تُرْبُ(٣٤)

والشريف من الشعراء الذين يبتهجون بمولد الفتاة ويحزنون لموتها، ومن أوائل القصائد التي قالها الشريف قصيدة يهنىء بها أخاه بمولودة وهي قصيدة طويلة نكتفي منها بالأبيات التي يقول فيها:

أغارَتْ على الحُسْنِ أسبابُها   فأسبَابُهُ عندها في أسارِ
ولا عَجَبٌ أن ترى مثلَها،   وزندُك في كرم العِرْق وارى
نثرن عليها سوادَ القلوبِ   وكان الهنا في خِلال النّثار
ولو أنصف الدّهرُ لم نقتنعْ   بغير قلوبِ النجومِ الدَّراري
هَناكَ بها الله ما غرّدت   صدور القَنَا في أعالي نِزارِ

وأحيا بهـا لك ميتَ الُعلـى،   وأردى بها كلَّ عـابٍ وعـارِ
وذلَّت عمائـمُ قـوم بهـا،   كمـا أنهـا شرفٌ للخمـارِ(٣٥)

ويعزي صديقه بموت ابنته ويقول:

يا أرضُ ما العذرُ في شخصٍ عصفِت بِهِ   يـنَ الأقـارب والعُـوّادِ والخـوَلِ
أردتِ أن تحـجُبَ البيداء طلعتَـهُ   ألم يكَن قبلُ محجوباً عن المُقـلِ؟
جسمٌ تفـرَّدَ بالأكفـانِ يجعلُهـا   مُذْ طلقَ العُمْرَ أبدالا من الحُلـلِ
وغـرةٌ كضيـاءِ البَـدْرِ لامعـةٌ   صارَ الترابُ بها أولى من الكِلَلِ(٣٦)

وهكذا نجد الشريف قد وهب جانباً من شعره للأم والأخت وابنة الصديق، وقد لفتت هذه الظاهرة نظر بعض نقاده ووقف عندها زكي مبارك قائلاً: «والحق أن اللغة العربية كانت تحتاج إلى من يمجدون الأمهات والأخوات والبنات على نحو ما وقع في اللغات الأجنبية، فإن في المرأة عناصر من العطف والتضحية لا يدركها إلا ذوو الألباب وصاحبنا الشريف قد وفق في هذه الناحية كل التوفيق»(٣٧)

وبعد أن استعرضنا بعض القصائد التي تظهر صورة المرأة الأم والأخت والمولودة عند الشريف نحاول أن نلتمس صورة المرأة الحبيبة الملهمة المعشوقة والعاشقة. وفي ديوان الشاعر ما يساعدنا على رسم تلك الصورة وما يسلط الضوء على علاقاته بالنساء.

وقبل أن نتناول الديوان لا بد أن نمر مروراً سريعًا على آراء النقاد الذين تحدثوا عن غزل الشريف.

ونقرر أن القدماء لم يتحدثوا عن غرام للشريف ولم يربطوا اسمه بامرأة ولم يحاولوا أن يتلمسوا أسباب كثرة الغزل في ديوان ذلك الشاعر، أما المحدثون فقد فعلوا ذلك وقد جزم محمد مهدي البصير بأن الشريف كان عاشقاً كبيراً ولم يضعف من جزمه هذا سكوت القدماء عن هذا الجانب من جوانب حياة الشاعر.

يقول البصيربعد أن يطرح سؤالاً يقول فيه هل ذاق الشريف لوعة الحب؟. يجيب قائلاً: «إنه لمن العبث ومن البله في وقت واحد أن نطلب إلى التاريخ الإجابة عن هذا السؤال. فما كانت تقاليد القرن الرابع للهجرة لتسمح أن يسجل التاريخ على رجل له حسب الشريف الرضي وعلمه ومكانته الدينية انه عشق امرأة حسناء أحلها

من نفسه أسمى محل وخضع لسلطان جمالها القاهر أتم الخضوع، ولكن إن جهل التاريخ هذا أو علمه ولم يجرؤ على تدوينه فإن الشريف قد دونه لنا في شعره غير هياب ولا وجل»(٣٨).

وإذا كان الجاحظ يقول «رجلان من الناس لا يعشقان عشق الأعراب أحدهما الفقير المدقع فإن قلبه يشغل عن التوغل فيه وبلوغ أقصاه. والملك الضخم الشأن لأن في الرياسة الكبرى وفي جواز الأمر ونفاذ النهي أو في ملك الرقاب ما يشغل شطر قوي العقل عن التوغل في الحب والاحتراق في العشق»(٣٩)

فإن الشريف لم يكن أحد الرجلين فلم يكن فقيراً ولم يكن ملكاً ضخماً على حد تعبير الجاحظ ولكنه رجل دين وتقى. ويرى أحد الدارسين أن هذه الصفة جعلت غزله لا يظهر سافراً على الشكل الذي ظهر فيه غزل غيره من الشعراء(٤٠). وكان كما وصفه أحد نقاده في صراع بين العقل والقلب وبين المجد والحب(٤١). هل كان الشريف كما صور نفسه في أحدى قصائده حين قال:

من يعشقُ العزَّ لا يعنُو لغانيـةٍ   في رونقِ الصفو ما يُغني عن الكَدَر
شغلتُ بالمجدِ عمّا يُستلذّ بـه   وقائمُ الليلِ لا يَلوى على السَمَر(٤٢)

هل كان الشريف زاهداً في المرأة مدبراً عنها لم يذق الحب ولم يكتو بناره؟؟.
إننا نستدل على حبه من حديثه عن أهوال الصدود وعن آلام الفراق وإجادته لوصف الأرق وطول الليل ولوعة الأسى ومحاولة التقرب إلى المحبوبة بالدموع حيناً وبالاستعطاف حيناً آخر.

ولنقف عند بعض الأبيات التي نلمس فيها صدق الصبابة فهو يقول:

شممت بنجد شيحةً حاجريـةً،   فأمطرتُها دمعي، وأفرشتُها خـدّي
ذكرتُ بها ريّا الحبيب على النوى   وهيهاتَ ذا يا بُعدَ بينهما عِندي
وإني لمجلوبٌ لي الشوق كُلّما   تنفَّس شاكٍ، أوْ تألم ذو وَجْدِ
تعرضَ رسل الشوقِ والرَّكبَ هاجدٌ   فتوقظني من بين نُوامهم وحدي
فقلت لأصحابي: ألا تتزافـروا؟   رويدكم! إن الهوى داؤه يعدي
ومـا شرب الـعشاق إلاّ بقيّتـي   ولا وردُوا في الحب إلاّ على وِردِي(٤٣)

إن الأبيات تظهر تذلل العاشق العزيز وتظهر معاناة المحب العميد وهو دليل صادق على معرفة شاعرنا لمعاناة الشوق معرفة مجرب لا معرفة مقلد. فهو يتجاوب مع كل شاك ويتألم لكل عاشق ويتنفس عبير المحبوبة في نسائم نجد، ويعلنها مدوية صريحة أنه إمام العشاق وسيدهم وإنهم لم يشربوا إلا فضلة كأسه. وإذا كان رجال القانون يقولون إن الاعتراف سيد الأدلة فلسنتعر عبارتهم ونقول إن اعتراف الشريف بأنه سيد العشاق يجعلنا نجزم بأن المرأة قد استحوذت على جانب من حياته الحافلة.

وإذا أردنا أن نعرف طبيعة العلاقة التي جمعت بين شاعرنا وبين المرأة فما علينا إلا أن نلتمس ذلك مما قاله من شعر.

فشاعرنا قد عانى من جفاء المحبوبة وصدّها وتجاهلها لعواطفه وساءه منها وقد عبر عن ذلك حين قال:

عَلِقَ القلبُ من أطالَ عذابي   وَرَواَحي عَلى الجَوَى وغُدُوّي
وافترقْنا في مَذَهَبِ الحُبّ شتّى   بين تقصيرِهِ، وبين غُلُوّى
ساءَني، مذ نأيتُ، نسيانُ ذكري   فاذكُروني، ولو ذُكرت بسوّ(٤٤)

وشاعرنا ابتلى بفراق من يحب وقد أجاد في وصف أهوال الفراق ومما قال في ذلك:

الدمع مذْ بَعُدَ الخليطُ قريبُ   والشوقُ يدعُو والزفيرُ يجيبُ
ما كنت أعلمَ أن يوم فراقكُمْ   تُبقي عليَّ نواظرُ وقُلُوبُ
إن لم تكن كَبِدي غداة وَداعكم   ذابتْ، فأعلمَ أنها ستذوبُ
داء طلبت له الأساةَ، فلم يكنْ   إلاّ التعللُ بالدّموعِ طبيبُ(٤٥)

ويعبر عن قصر ساعة اللقاء بالقول:

ما كان قربُكَ غَيرَ برقٍ لامعٍ،   ولّى الغمامُ به، وظلٍ قالِصِ
أغدو على أملٍ كحُبكِ زائدٍ،   وأروحُ عن حظٍ كوصلِكِ ناقِصِ(٤٦)

ويبدو أن الشريف قد قاسى من العذال فردّ عليهم موبخاً:

يا عاذِلَ المشتاقِ دَعْهُ، فإنّهُ   يطوي على الزَّفراتِ غَيْرَ حشاكا
لو كان قلبك قلبه ما لمته،   حاشاك مما عنده حاشاكا(٤٧)

والبيتان يذكراننا ببيت للمتنبي يقول فيه:

لا تعذل المشتاق في أشواقه   حتى يكون حشاك في أحشائه

ولا شك أن المعنى الذي ذهب إليه الشاعران واحد وأن للمتنبي فضيلة الإيجاز والسبق، فالمعنى الذي طرحه المتنبي في بيت.واحد بسطه الشريف في بيتين.

. ويعرف الحب فيقول:

وما الحب إلا فرحة بعد ألفة   وإلا حذار بعد طول أمان(٤٨)

ويقول مخاطباً الحبيب:

وإنك أحلى في جفوني من الكرى   وأعذب طعماً في فؤادي من الأمن(٤٩)

وتلح على الشاعر فكرة المغامرة أحياناً وتستبد بخياله فيصور نفسه وكأنه عمر ابن أبي ربيعة في قصصه الغرامي الذي يرى في الحب صورة من صور الصيد أو الهوى بين شاب وفتاة يقول:

إني علقت على منى   لمياء يقتلني لماها
راحت مع الغزلان قد   لعبت بقلبي ما كفاها

ويستمر في الحديث عن الحبيبة التي يحاول اصطيادها وكأنه صياد ماهر ويعلن فشله في مهمته فيقول متحسراً:

ممنوعة، لا ظلّها   يدنو إليّ، ولا جناها
أكذا تذوب عليكم   نفسي، وما بلغت مناها
أمسي لها متفقدا،   في العائدين، ولا أراها
واها، ولولا أن يلو   م اللائمون، لقلت: آها(٥٠)

وحين يمرض الشريف يأتي له أهله بالأطباء فيسخر من طبهم ومن علاجهم ويقرر أنهم لم يهتدوا إلى علته فيقول:

دعوا لي أطبّاءَ العراقِ لينظُـروا　　سَقامي وما يُغني الأطبّاء في الحب
أشاروا بريح المندلِ اللدن والشذا　　وردَّ ذَماءِ النفس بالباردِ العَـذْبِ
يطيلـون جس النابضيـن ضلالـةً،　　ولو علموا جَسّوا النوابضَ من قلبي(٥١)

والشريف من الشعراء الذين أجبرتهم الظروف على كتمان الحب وعدم البوح بالغرام والتحفظ حتى من النظرة الولهى مخافة من الرقيب يقول:

ولما التقينا دلَّ قلبي على الجَوَى　　دليلان: حُسنٌ في العيونِ وطيبُ
ولي نظرةٌ لا تملك العينُ أُختَها،　　مخافةَ يشنُوها علـيَّ رقـيبُ(٥٢)

والشعراء قبله تفننوا في الحديث عن محاولتهم كتمان علاقاتهم خوفاً من الوشاة فابن المعتز لا ينظر إلى حبيبته إلا بعد أن يتأكد أن الرقباء في غفلة عنه فهو يقول:

أرد الطرف من حذري عليـه　　وأمنحـه التجـنب والصدودا
وأرصد غفلـة الرقبـاء عنـه　　لتسرق مقلتي نظراً جديـدا(٥٣)

ولكن لماذا نقتبس الأبيات من هنا ومن هناك وشاعرنا يقص علينا بعض مغامراته العاطفية بأسلوب لا نستطيع أن نقول عنه إلا أنه أسلوب صادق في التعبير عن خبايا صاحبه. وفي الأبيات اعترافات صريحة تشير إلى أن شاعرنا قد شرب من كأس الغرام وذاق حلاوته ومرارته يقول في قصيدة مطلعها:

يا ليلة السفح ألا عدت ثانيـة　　سقى زمانك هطال من الدَيـم
ماض من العيش لو يفدى بذلت له　　كرائم المال من خيل ومن نعم

وبعد أن يتشوق لتلك الليلة ويتمنى عودتها ويوبخ من لامه في الحب على جهله به، ويطلب منه أن يجربه قبل أن يلوم المحبين وهو في كل ذلك يحرص على أن يجعل لمعاني العفة مكان الصدارة. وفي هذه القصيدة استطاع الشاعر أن يربط بين تصوير صبابته وبين وصف محبوبته التي خلع عليها نفحات من الجمال فبدا الانسجام واضحاً بين وصفه لها ووجده بها.

يقول واصفاً هذا اللقاء:

وأكتم الصبح عنها، وهي غافلة   حتى تكلم عصفور على علم
فقمت أنفض بردا ما تعلّقه   غير العفاف، وراء الغيب والكرم
والمستني، وقد جدّ الوداع بنا،   كفّا تشير بغضبان من العنم
وألثمتني ثغراً ما عدلت به   أرى الجنى ببنات الوابل الرّذم
ثم انثنينا، وقد رابت ظواهرنا،   وفي بواطننا بعد من التّهم
يا حبذا لمّة بالرمل ثانية،   ووقفة ببيوت الحيّ من أمم
وحبذا نهلة من فيك باردة،   يعدى على حرّ قلبي بردها بفمي
دين عليك، فإن تقضيه أحي به   وإن أبيت تقاضينا إلى حكم(٥٤)

والأبيات غنية عن التعليق وهي عامرة بالأحاسيس زاخرة بالصور، وإذا كان شاعرنا لم يبدع معنى جديداً أو عميقاً فإن أسلوبه المطرب وألفاظه العذبة كانت مفتاح إعجابنا بالقصيدة.

٣ ــ جمال المرأة في غزل الشريف الرضي:

لقد استطاع الشريف الرضي أن يرسم صورة للمرأة ولعلنا قبل أن ندرج الأبيات التي وقف فيها شاعرنا عند محاسن المرأة نقف عند هذه الأبيات التي أوردها ابن رشيق وعلّق عليها بالقول «وهذه أملح ما وقع فيه الوصف وهي أشبه بنساء الملوك».

وهي هيفاء هضيم كشحها   ضخمة حيث يشدّ المؤتزر
صلتة الخد طويل جيدها   ضخمة الثدي ولمّا ينكسر
يضرب السبعون في خلخالها   فإذا ما أكرهته ينكسر
لا تمس الأرض إلا دونها   عن بلاط الأرض ثوب منعفر
لا تمس الأرض إلا دونها   وتطيل الذيل منه وتجر
ثم تنهدّ على أنماطها   مثل ما مال كثيب منقعر

عبق العنبر والمسك بها   فهي صفراء كعرجون القمر
أملح الناس إذا جردتها   غير سمطين عليها وسور(٥٥)

فالشاعر يرسم صورة للمرأة تتميز بضمور البطن وضخامة العجز وطول الخد والجيد وامتلاء الساقين واكتمال التزين فثيابها طويلة تمشي فيها متغثرة وعطرها يعلن عن وجودها.

والشريف يعطينا صورة مشابهة لهذه الصورة حين يقول:

عطون بأعناق الظَّباء، وأشرقت   وجوه عليها نضرة ونعيم
أمطن سجوفاً عن خدود نقيَّة   صفا بشر منها ورق أديم
شغُوف على أجسادهن رقيقة،   ودرّ على لباتهن نظيم
يجلبن خلاخيل النَّضار، وملؤها   بواديّ غيل بينهن عميم
تأطَّر أغصان الأراك أمالها،   وقد رقّ جلباب الظلام، نسيم(٥٦)

وسنحاول أن نبحث عن عناصر الجمال التي تحدث عنها الشريف في غزله ولعل العينين أكثر أعضاء المرأة تأثيراً في عشاقها وبخاصة إذا كان العاشق عفيفاً كالشريف الرضي يكتفي بالنظرة ولا يتجاوز ما وراءها.. يقول مشبهاً عين محبوبته بعين الظبي ومفضلاً إياها على نظرة الظبي، لأن نظرة الظبي صامتة ونظرة المحبوبة تبيح بما لا يستطيع اللسان أن يبوح به يقول:

حكت لحاظك ما في الريّم من ملح   يوم اللقاء فكان الفضل للحاكي
كأنّ طرفك يوم الجزع يخبرنا   بما طوى عنك من أسماء قتلاك(٥٧)

وإذا كان الشعراء قد اتخذوا من أعين الغزلان حيناً ومن أعين البقر حيناً آخر صوراً يشبهون بها عيون محبوباتهم فإن الشريف قد جمع لمحبوبته الصورتين في قوله:

وفي الخِباءِ الذي هامَ الفؤادُ بِه،   نجلاءُ من أعينِ الغزلانِ والبقَرِ(٥٨)

لقد أراد الشريف أن يحقق لمحبوبته كل ما سمعه في قاموس الجمال من أوصاف وتشبيهات فأتى بذلك البيت.

ويعترف أن الذي ساقه إلى الغرام عيون نساء المدينة اللواتي رمينه بنظراتهن القاتلة يقول:

وما كنت أدري الحب حتى تعرضت   عيون ظباء بالمدينة عين
فوالله ما أدري الغداة رميننا   عن النبع أم عن أعين وجفون
فررت بطرفي من سهام لحاظها   وهل تتلقى أسهم بعيون(٥٩)

والعيون سيوف قاتلة في قوله:

ولم نر كالعيون ظبى سيوف   أرقن دماً وما رمن الجفونا(٦٠)

وشاعرنا يقتفي أثر جرير حين قال بيتيه المشهورين:

إن العيون التي في طرفها حور   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به   وهنَّ أضعف خلق الله إنسانا

ومن العينين ننتقل مع الشريف إلى الشفتين وهو يعشق اللمى يقول:

شهيّ اللمى عاط إلى الركب جيده   ختول لأيدي القانصين مطول(٦١)

وهو هنا يمزج الصفات الخِلقية بالصفات الخُلقية فحبيبته شهية اللمى ولكنها تماطل في حبها ولا تنيل من يهواها ما يريد.

ويقول في قصيدة أخرى متشوقاً ومتمنياً الوصول إلى تلك اللمى:

فهل لي والمطامع مرديات   دنوٌّ من لمى ذاك الغزال(٦٢)

أما الريق وهو الذي طالما تحدث عنه العشاق فله نصيب أيضاً من غزل الشريف ويجعل الريق بارداً حيناً حين يقول:

يلجلجن قضبان البشام عشية،   على ثغب من رِيقهن معين
ترى برداً يعدي إلى القلب برده   فينقع من قبل المذاق بحين(٦٣)

ويجعله خمراً مسكراً في قول آخر:

نعاقِر بالضمّ كأس العناقِ   ونسفك باللثمِ خمْرَ الرُّضابِ(٦٤)

أما الأسنان فهي بيض لامعة تكاد تجلو للشاعر ظلام الليل يقول:

وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي   مواقع اللثم في داج من الظَّلَم(٦٥)

والشريف من الشعراء الذين يهيمون بالمرأة المتزينة وهو يعرض لنا صوراً متعددة في ذلك فتارة يجعل عطرها ينتقل إلى ثيابه فيعلم أصحابه باللقاء الذي تم بينهما يقول:

وتأرجَتْ منها زلازِل رُيَطتي   حتى تعارفَ طيبَها أصحابي
فكأنما استعبقتُ فارة تاجرٍ،   وبعثت فضلتها إلى أثوابي(٦٦)

ومن مظاهر الزينة عند المرأة والتي يعرضها علينا الشريف في شعره الحلي بأنواعها وأشكالها فصاحبته متحلية بالدمالج والخلاخيل وهي تتخذ من أدوات الزينة تلك سلاحاً تقاتل به الشريف الذي يعلن استسلامه وهزيمته فيقول:

لهن الله كيف أصبن منا   نفوساً ما عقلن، وما درينا
لقين قلوبنا بجنود حرب   تطاعن بالدَّمالج والبرينا(٦٧)

ولكنه يعدل عن ذلك في قصيدة أخرى وينفي أن يكون سلاح المرأة ما تتحلى به من زينة مجلوبة ويؤكد أن سلاحها في ما تملكه من جمال طبيعي يقول:

وفي البراقع غزلان مربَّبة   يرميننا بعيون نبلها الكحل
إذا الحسان. حملن الحلي أسلحة   فإنما حليها الأجياد والمقل(٦٨)

٤ ـ العفة في غزل الشريف الرضي:

لا يكاد ناقد يتناول حياة الشريف إلا ويتحدث عن عفافه في الحب وديوان الشاعر يلهج بهذه الصفة. وإذا كان العشاق يسلكون طرقاً مختلفة في إشباع تلك العاطفة المتأججة في النفوس فإن الشريف قد عرض علينا طريقته حين قال:

عشقت ومالي يعلمُ الله حاجةٌ   سوى نظري والعاشقون ضروبُ(٦٩)

ويجعل عفافه رقيباً عليه إذا غفل الرقيب فيقول:

عفافي من دون التقية زاجر   وصونك من دون الرقيب رقيب(٧٠)

بل يمعن في المبالغة في عفافه حين يقول:

خلونا فكانت عفةٌ لا تعفّفٌ وقد رفعت في الحَيّ عنا الموانِعُ
سَلُوا مضجعي عَنّي وعنْها، فإنّنا رضينا بما يُخبِرْنَ عنّا المضاجِعُ(٧١)

ويقول في قصيدة أخرى بعد أن يتحدث عن لقائه بالمحبوبة وجلوسه عندها وبعد أن يصف ما به من شوق إليها ويجعل عفته حائلاً بينه وبين اقتراف المآثم أو إطفاء جمرة الشوق.

وبيننا عفة بايعتها بيدي، على الوفاء بها والرّعي للذّمم(٧٢)

ويؤكد أن عفافه كان بوازع ديني، فهو في حبه يرضي الله وأن أغضب الحسان يقول:

ولا لذة إلا الحديث كأنه لآل على جيداء واه جمانها
عفاف كما شاء الإله يسرني وإن سيء منه بكرها وعوانها(٧٣)

ويقول أيضاً:

يميل بي الهوى طَرباً وأنأى ويجذبُني الصِّبا غَزَلاً فآبى
ويمنعني العفافُ كأن بيني وبينَ مآربي منهُ هِضابا(٧٤)

والأبيات التي يتغنى فيها شاعرنا بعفته كثيرة في الديوان وفي إيراد القليل ما يغني عن الكثير وهي في مجملها تؤكد فكرة نقاء الحب وصفاء العواطف.

وإذا كانت العفة هي السمة الغالبة على غزل الشريف فإن بعض النقاد له موقف من تلك العفة يقول زكي مبارك «هو عفيف ولكن حديثه عن عفافه يشعر بأنه كان يجاهد هواه جهاد المستميت.. إن الشاعر يصرح باللوعة ثم يثور على هواه فيعلن أن قلبه من داء الغرام خراب ليصلح له أن يقول إن المجد غاية ممناه وليس من الكثير على مثله أن يدوس الهوى في سبيل المجد.. ولكن من الواجب أن نتذكر هذا لنعرف أن صاحبنا لم يؤثر العفاف وهو طائع وإنما اختار العفاف لأنه اصلح الصفات لبلوغه

من المجد ما يشتهيه»(٧٥). فالناقد يربط بين مطامح الشاعر وانتهاجه العفة في حبه وفي غزله، ويؤكد انه استطاع أن يظفر بالمزيتين فيقول «ولكن شاعرنا جمع المزيتين فكان أميراً للحج، أميراً فقيهاً يقدم إلى الحجيج العراقي ما يبصره بالمشاعر والمناسك وكان شاعراً يتلهف على الحسن الظامىء إلى الورد الممنوع»(٧٦)

إن ديوان الشاعر يساعدنا على الاعتراف بوجود ذلك الصراع بين قلب الشاعر وعقله ومن صور هذا الصراع قوله:

أُحبكِ بالطبع البعيد عن الحجا   وأقلاك بالعقل البريء من الخبل
فأنت صديقي إن ذهبت إلى الهوى   وأنت عدوى إن رجعت إلى العقل(٧٧)

ومن صور العفاف التي يبثها الشاعر في ديوانه قوله:

تضاجعني الحسناء والسيف دونها   ضجيعان لي والسيف أدناهما مني
إذا دنت البيضاء مني لحاجة،   أبى الأبيض الماضي، فأبعدها عني(٧٨)

ومن صور العفاف التي يعرضها الشريف من واقع مذهبه في الحب قوله:

أُقِلُّ سلامي إن رأيتُكِ خيفةً   وأعرِضُ كيما لا يقالَ مريبُ
وأُطرِقُ والعينانِ يومض لحظُها   إليكِ، وما بين الضلوعِ وجيبُ(٧٩)

ويعرض عفته في صورة أخرى حين يقول:

يَحِن إلى ما تضمنَ الخُمرُ والحِلَى   ويَصْدُفُ عمَّا في ضَمانِ المآزِرِ(٨٠)

وقوله هذا قريب من قول المتنبي:

إنّي على شغفي بما في خُمْرها   لأعِفُ عما في سَرَا ويلاتِها(٨١)

وتبلغ به العفة مبلغاً يجعله يتعفف حتى عن الشكوى فهو يقول:

يشكو الحبيب إليَّ شدة شوقه   وأنا المشوق وما يبين جناني
وإذا هممت بمن أحب أمالني   حصر يعوق وعفة تنهاني
لله ما أغضت عليه جوانحي   والشوق تحت حجاب قلبي عان(٨٢)

فهو يكتم ما به من وجد ربما لأنه يخشى الرقباء وربما لأنه يعد الحب جريرة لا يحب أن يُعرف بها فيحاول كتمان هواه حتى عن حبيبه. ويحضرني بيتان ندّ عني موضعهما يقول صاحبهما معبراً عن فكرة شدة الكتمان:

وقائلة ما بال جسمك لا يرى   سقيماً وأجسام المحبين تسقم
فقلت لها قلبي بحبك لم يبح   لجسمي فجسمي بالهوى ليس يعلم

٥ ـ حجازيات الشريف الرضي:

والحجازيات هي أشعار الوجد والشوق التي صاغها الشريف. وهو ينظر إلى مواكب الحسن المختلفة الأجناس والملامح، وهي قصائد تحرر فيها الشاعر من القيود وعبَّر عن حبه العفيف أجمل تعبير، وعرض لنا من خلال هذه القصائد شكواه وأنينه ولوعته من الفراق الذي لا لقاء بعده، لأنه في هذه القصائد يتحدث عن عشقه لنساء لا سبيل إلى الوصول إليهن ولقاؤه بهن محدود، وفراقه لهن إلى غير لقاء، وقد سميت هذه القصائد التي يبلغ عددها أربعين قصيدة بالحجازيات لأنها تتحدث عن حبيبات في الحجاز ولأنها قريبة الشبه بالغزل العذري الذي كثر في الحجاز في العصر الأموي.

تصف الدكتورة عاتكة الخزرجي حجازيات الشريف فتقول «والحجازيات قصص قلبية عاشها الشاعر بين مواكب الحسن الوافدة في ركاب الحجيج تنقل عن عواطف الشاعر وأحاسيسه وتكشف لنا عن خطرات قلبه فنراه يترجح بين اشتياق ولهفة ويتشكى من لوعة محرقة، وهي تمثل لنا الحب العفيف أجمل تمثيل وتعكس لنا آلام المحبين بمرآة صافية كلها سحر ورواء»(٨٣).

وسوف نقف عند إحدى هذه الحجازيات التي تعد نموذجاً للأسلوب الذي ينتهجه الشاعر في صياغة هذه القصائد تقول:

ألا يا ليالي الخيفِ! هل يرجعُ الهوى   إليكنَ لي؟ لا جازكنَ ندى القطر
فيادينَ قلبي من ثلاثٍ على مِنّى   مضينَ ولم يُقين غير جوى الذكرِ
وراميـنَ وهنـاً بالجمـارِ وإنمـا   رموا بين أحشاءِ المحبين بالجَمْرِ
رموا لا يالونَ الحشى، وتروّحُوا   خليّين، والرامي يصيبُ، ولا يدري
وقالوا: غداً ميعادُنا النّفرُ عن منّى،   وما سرّني أن اللقاءَ مع النَّفـرِ

ويا بؤسَ للقُربِ الذي لا نذوقُهُ   سوى ساعةٍ ثم البعادُ مدى الدّهر
فيا صاحبي! إن تعطِ صبراً فإنّني   نزعتُ يديَّ اليومَ من طاعةِ الصّبر
وإن كنتَ لم تدرِ البُكا قبل هذهِ،   فميعادُ دمعِ العينِ منقَلَبُ السَّفرِ(٨٤)

إن هذه المقطوعة تعد بحق نموذجاً لحجازيات الشريف فقد جمعت ما تفرق في حجازياته من خصائصَ، فنجد عنصر الزمان فيها واضحاً، نراه في البيت الأول الذي يذكر فيه لياليَ الخيف متشوقاً متحسراً على ماضيها.

والليل هو رفيق الشعراء المخلص فهم يؤثرونه لأنه يخفي غاياتهم ويحجبها عن أعين الرقباء، ولأن الشريف يتحدث في حجازياته عن واقع لا زيف فيه فقد ابتعد عن ذكر الأماكن التقليدية التي رددها الشعراء حتى صارت لا تعني شيئاً.

إن أسماء الأمكنة في غزل الشريف تؤكد أنه لم يستعرها وإنها لم تكن رموزاً وإنما كانت أمكنة مَرّ بها حقاً وهي أماكن لابد أن يمر بها الحاج مرتبطة بمشاعر الحج ومناسكه. ونلاحظ في هذه القصيدة أنه ذكر «الخيف» «ومنى» وفي قصائد أخرى ذكر «المدينة» «والأخشبان» «والآل» «وزمزم» «والمقام» وغيرها من الأماكن. والأماكن ليست في شعر الشريف زينة ولا تحلية وإنما هي جزء أصيل من مواقف الحب والذكرى.

وإذا كان الليل كما ذكرنا هو عنصر واضح من عناصر قصائد الشريف فإن هذا الليل لم يكن وسيلة للتقارب والوصال وإنما كان وقتاً يملأه الأسى والشجن والحنين.

والشريف في قصائده الحجازية يعبر عن حب يعيش على اليأس أكثر مما يعيش على الأمل، تأمل عزيزي القارىء قوله:

يا بؤس للقرب الذي لا نذوقه   سوى ساعة ثم البعاد مدى الدّهر

لست بحاجة إلى الحديث الطويل عن رنة الأسى التي تبدو في البيت، فأي لوعة أشد من لوعة المفارق الذي يودع من يهواه إلى غير لقاء ولسنا بحاجة أيضاً إلى الإكثار من الأمثلة التي تدور حول هذا المحور، فجل حجازيات الشريف تسلك هذا السبيل فهي دموع يسكبها الشاعر لأن الحب عنده لوعة وحرمان وشكوى وأنين ولقاء خاطف.

وإذا كانت أبيات الحجازيات تنطق بالصدق ونحس فيها بلوعة الحب المتسم بالطهر فإننا نجد من النقاد من يرى في ذلك الغزل رمزاً لطموح الشاعر، فحجازياته لا تمثل حياة وجدانية حقيقية. والمرأة فيها ما هي إلا رمز للمطامح الكبيرة والآمال البعيدة التي كان الشاعر يسعى إليها.

فهو يقول «... فالقارىء لشعر الرضي إذا لم يكن يعرف حاله يظنه فيه متغزلاً على حين أن الرجل كان من الجادين الذين نزعوا عن ملذات الدنيا وشهواتها وسمت بهم طموحاتهم إلى ما هو أبعد من ذلك...»(٨٥).

ونحن نتفق مع أستاذنا الدكتور محمد بن سعد بن حسين على بُعد طموح الشريف لأن ديوانه يؤكد ذلك ويسجله ولكننا نختلف معه في أن ذلك الشعر الغزلي الرقيق العذب ما هو إلا رمز لطموح الشاعر.

إن دراستنا للديوان تؤكد لنا أن صاحب هذا الشعر قد أحب المرأة حباً مصدره الاعتزاز بها والتقدير لها فتحدث عنها وعن نفسه حديثاً ينم عن إحساس مرهف.

الشريف الرضي في ميزان النقد:

لقد كانت شاعرية الشريف الرضي موضع عناية النقاد الذين تحدثوا عنه. فالثعالبي يجعله أشعر قريش ويقول عن شعره إنه يجمع إلى السلاسة متانة وإلى السهولة رصانة ويشتمل على معان يقرب جناها ويبعد مداها(٨٦).

ويتفق الخطيب البغدادي مع الثعالبي في أنه أشعر قريش(٨٧).

ويقول ابن الجوزي إن شعره غاية في الحسن وأنه مجيد مكثر(٨٨).

ويقول الباخرزي عن نسيبه «... وإذا نسب انتسبت رقة الهواء إلى نسيبه وفاز بالقدح المعلى في نصيبه»(٨٩).

وقال ابن تغري بردى «كان شاعراً فصيحاً عالي الهمة متديناً»(٩٠).

أما النقاد المحدثون فأشهر من وضع تقويماً لشعره محمد مهدي البصير الذي يقول عنه «... إنه فارس حلبتي الرثاء والفخر الذي لا يشق له غبار وإمام الغزل العذري العفيف في كل زمان ومكان»(٩١).

أما الدكتور زكي مبارك فيجعل الشريف أفحل شعراء العربية وفارسها السبَّاق على مدى الأجيال(٩٢).

ويذهب الدكتور شوقي ضيف إلى أن الشريف كان تلميذاً متأخراً من تلامذة المتنبي وأن المتنبي يتفوق عليه في جمال التعبير وقوته(٩٣).

وذهب الدكتور عصام عيد علي إلى أن الشريف كان أستاذاً لمهيار الديلمي وأن مهياراً أولع بشعر الشريف وتعمد تقليده وتتبع أساليبه يعيدها ويكررها(٩٤).

وبعد فإنه مهما تنوعت الآراء في شعر الشريف فإنه واحد من ألمع شعراء العصر العباسي، استطاع أن يزاوج بين جزالة البداوة ورقة الحضارة.

وهو شاعر مطبوع قامت شهرته على غزله العفيف الرقيق الذي يستوقف القارىء ويثير إعجابه بلطف تناوله وحسن تعليله ودقة تصويره.

○ ○ ○

● الهوامـش ●

(١) الشعر والشعراء ص ٠٧.

(٢) العمدة ، ج١ ص ١٣٧.

(٣) ديوان النابغة الذبياني ص ٩٥ ــ ٩٧.

المقلة: العين، الشادن: الظبي الذي استغنى عن أمه، المتربب: المربى، أحوى الشفتين: من الحوة وهي حمرة يعلوها سواد، أحم: شديد السواد، مقلد: طوّق جيده بالحلي، السيراء: ثوب من حرير فيه خطوط سفراء، المتأود: المتثني، غير مفاضة: غير مسترخية ــ المتجرد الجسم، ريا الروادف: مليئة الأرداف، السجف: الستر، النصيف: الخمار، الأشمط:الذي خالط سواد شعره بياض، صرورة: لم يتزوج، رنا: أدام النظر في سكون.

(٤) شرح المعلقات للزوزني، ص ١٢.

(٥) السابق ، ص ٦٥.

(٦) السابق ، ص ١٧٠.

(٧) ديوان حسان، ص ١٠٧.

(٨) طبقات فحول الشعراء

(٩) الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، محمد عبد المنعم خفاجي، ص ١٠

(١٠) تاريخ الشعر العربي لنجيب البهبيتي ص ١١١ ــ ١١٦

(١١) ديوان جميل ، ص ٦٤ ــ ٦٥.

(١٢) السابق ص ١٦٣.

(١٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٩٠.

(١٤) شعر المعلقات للزوزني ص ٣١.

(١٥) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ١٤٧.

(١٦) السابق . ص ٧٤.

(١٧) راجع تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام لشكري فيصل ص ٤٦٤ وما بعدها.

(١٨) ديوان العباس . ٢٢٤

(١٩) ديوان العباس . ص ١٥٧.

(٢٠) السابق ص ١٩٧.

(٢١) السابق ص ١١٣.

(٢٢) راجع أخبار الشاعر وترجمته في المراجع التالية:

١ ــ وفيات الأعيان لابن خلكان . ج ٤ ص ٤١٦ .
٢ ــ تاريخ بغداد . ج ٢ ص ٢٤٦
٣ ــ يتيمة الدهر للثعالبي . ج ٣ص ١١٦
٤ ــ المنتظم لابن الجوزي. ج ٧ ص ٢٧٩.
٥ ــ النجوم الزاهرة . ج ٥ ص ٢٦
٦ ــ الوافي بالوفيات . ج ٢ ص ٣٧٤.
٧ ــ شعراء ودواوين عبد الوهاب الصابوني ص ٢١٢.
٨ ــ في الأدب العباسي لمحمد مهدي البصير. ص ٤٢١ وما بعدها.

(٢٣) الديوان . ج ٢ ص ٣٦٨ ــ ٣٧١.

(٢٤) الوافي بالوفيات . ج ٢ ص ٣٧٥.

(٢٥) الآداب العربية في العصر العباسي الثاني. محمد عبد المنعم خفاجي. ص ١٥٧.

(٢٦) في الأدب العباسي، ص ٤٣٠.

(٢٧) الشريف الرضي ، ص ٧٦.

(٢٨) الديوان . ج١ ص ٢٧٠.

(٢٩) وفيات الأعيان . ج٤ ص ٤١٨.

(٣٠) الديوان . ج١ ص ٢٦.

(٣١) ديوان الشريف ، ج١ ص ٢٦ ــ ٣٠.

(٣٢) ديوان أبي فراس ، ج١ ص ٢١٨.

(٣٣) الديوان ، ج١ ص ١٦٠.

(٣٤) الديوان . ج١ ص ١٦٣.

(٣٥) الديوان، ج١ ص ٤٦٦.

(٣٦) الديوان ، ج٢ ص ٢١٨.

(٣٧) عبقرية الشريف الرضي ، ص ٧٩.

(٣٨) في الأدب العبّاسي ، ص ٤٣٣.

(٣٩) رسائل الجاحظ ص ١٥٤. شرح عبد السلام هارون. الطبعة الأولى ١٣٩٩ ــ ١٩٧٦ . الناشر : مكتبة الخانجي بمصر.

(٤٠) المنهل في الأدب العربي ص ٣٧.

(٤١) الشريف الرضي محمد عبد الغني حسن، ص ٧٤.

(٤٢) الديوان ، ج١ ص ٤٥٨.

(٤٣) السابق ، ج١ ص ٣٨٩.

(٤٤) الديوان ، ج٢ ص ٥٦٩.
(٤٥) السابق ، ج١ ص ١٨٣.
(٤٦) الديوان ، ج١ ص ٥٦٩.
(٤٧) السابق ، ج٢ ص ١٠٩.
(٤٨) السابق ، ج٢ ص ٤٩٦.
(٤٩) السابق ، ج٢ ص ٥٠٧.
(٥٠) الديوان ، ج٢ ص ٥٦٧.
(٥١) السابق ، ج١ ص ٢٠٢.
(٥٢) السابق ، ج١ ص ١٧٩.
(٥٣) ديوان ابن المعتز ص ٩٠.
(٥٤) الديوان ، ج٢ ص ٢٧٥.
(٥٥) العمدة ، ج٢ ص ١١٨.
(٥٦) الديوان ، ج٢ ص ٣٣٢.
(٥٧) السابق ، ج٢ ص ١٠٧.
(٥٨) السابق ، ج١ ص ٤٥٩.
(٥٩) الديوان ، ج٢ ص ٤٨٥.
(٦٠) السابق ، ج٢ ص ٥٤٧.
(٦١) السابق ، ج — ص ، اللمى: سمرة أو سواد في باطن الشفة
(٦٢) السابق ، ج٢ ص ١٧٥
(٦٣) الديوان ، ج٢ ص ٤٨٥.
(٦٤) السابق ، ج١ ص ١٢٤.
(٦٥) السابق ، ج٢ ص ٢٧٤.
(٦٦) السابق ، ج١ ، ص ١٧٧.
(٦٧) السابق ، ص ٥٤٧.
(٦٨) الديوان ، ج٢ ص ١٧٩.
(٦٩) السابق ، ج١ ص ١٧٥.
(٧٠) السابق ، ج١ ص ١٧٩.
(٧١) السابق ، ج١ ص ٦٥٨.
(٧٢) الديوان ، ج٢ ص ٢٧٤.
(٧٣) السابق ، ج
(٧٤) السابق ، ج١ ص ٩٣.
(٧٥) عبقرية الشريف الرضي، ج٢ ص ١١٣ — ١١٥.
(٧٦) عبقرية الشريف الرضي ، ج٢ ١٣٠.
(٧٧) الديوان ، ج٢ ص ٢٢٥.
(٧٨) السابق ، ج٢ ص ٤٨٤.
(٧٩) السابق ، ج١ ص ١٧٥.
(٨٠) السابق ، ج١ ص ٤٤٧.

(٨١) ديوان المتنبي . ج١ ص ٢٤٨.
(٨٢) ديوان الشريف ج٢ ص ٥١٨.
(٨٣) حجازيات الشريف مخطوط ص ٢.
(٨٤) الديوان . ج١ ص ٥١١ — ٥١٢.
(٨٥) من شعراء الإسلام ص ٧١.
(٨٦) يتيمة الدهر . ج٣ ص ١٣١.
(٨٧) تاريخ بغداد . ج٢ ص ٢٤٦.
(٨٨) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . ج٧ ص ٢٧٩.
(٨٩) دمية القصر . ص ٢٩٢.
(٩٠) النجوم الزهراة . ج — ص ٢٤٠.
(٩١) في الأدب العباسي ص ٤٥٠.
(٩٢) عبقرية الشريف الرضي . ج١ ص ١٠.
(٩٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي . ص ٣٥٣.
(٩٤) مهيار الديلمي حياته وشعره ص ٣١٩.

● المصادر ●

١ — **ابن الأحنف،** أبو الفضل العباس بن الأحنف (١٩٢هـ)
— ديوان العباس الأحنف، شرح وتحقيق عاتكة الخزرجي. المغرب: مطبعة فضالة المحمدية، ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م.
٢ — **البصير، محمد مهدي**
— في الأدب العباسي. ط٢. بغداد مطبعة السعدي، ١٩٥٥.
٣ — **ابن تغري بردى،** جمال الدين أبو المحاسن يوسف (٨١٣ — ٨٧٤هـ)
— النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣ — ١٩٧٢م.
٤ — **الثعالبي،** أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٣٥٠ — ٤٢٩هـ)
— يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد.
٥ — **الجاحظ،** أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (١٦٣ — ٢٢٥هـ)
— رسائل الجاحظ، شرح وتحقيق عبد السلام هارون. ط١. ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م.
٦ — **جميل بثينة،** جميل بن عبد الله بن معمر (٨٢هـ)
— ديوان جميل. ط٢. جمع وتحقيق وشرح حسين نصار، القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٦٧م.
٧ — **ابن الجوزي،** أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥١٠ — ٥٩٧هـ)
— المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. ط١. حيدر أباد الدكن: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٨هـ.
٨ — **حسان بن ثابت،** أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر (— ٥٤هـ)
— ديوان حسان بن ثابت، تحقيق سيد حنفي حسنين، مراجعة حسن كامل الصيرفي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
٩ — **حسن،** محمد عبد الغني.
— الشريف الرضي، ط٢. القاهرة: دار المعارف.
١٠ — **حسين،** محمد بن سعد.
— من شعراء الإسلام. ط١. ١٤٠٤هـ — ١٩٨٤م.
١١ — **الخطيب البغدادي،** أبوبكر أحمد بن علي ٤٦٣هـ.
— تاريخ بغداد، المدينة المنورة: المكتبة السلفية.

١٢ ــ **خفاجي**، محمد عبد المنعم

ــ الآداب العربية في العصر العباسي الثاني. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٥م.

١٣ ــ **ابن خلكان**، شمس الدين أبو العباس أحمد (٦٠٨ ــ ٦٨١هـ)

ــ وفيات الأعيان تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ج٤.

١٤ ــ **ابن أبي ربيعة**، أبو الخطاب عمر بن عبد الله المخزومي القرشي (٢٣ ــ ٦٨١هـ)

ــ ديوان عمر بن أبي ربيعة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.

١٥ ــ **ابن رشيق القيرواني**، أبو علي الحسن (٣٩٠ ــ ٤٥٦هـ)

ــ العمدة في محاسن الشعر وآدابه. ط٥. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد. بيروت: دار الجيل، ١٤٠١هـ ــ ١٩٨١م.

١٦ ــ **الشريف الرضي**، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى (٣٥٩ ــ ٤٠٦هـ)

ــ ديوان الشريف الرضي. بيروت: دار صادر.

١٧ ــ **الصابوني**، عبد الوهاب

ــ شعراء ودواوين. بيروت : دار الشروق، ١٩٧٨م

١٨ ــ **الصفدي**، صلاح الدين أبو الصفا خليل بن أيبك (٦٩٦ ــ ٧٦٤هـ)

ــ الوافي بالوفيات. استانبول : مطبعة وزارة المعارف، ١٩٤٩م.

١٩ ــ **ضيف**، شوقي

ــ الفن ومذاهبه في الشعر العربي. ط٧. القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٩م.

٢٠ ــ **الطاهر**، علي جواد

ــ المنهل في الأدب العربي في العصر العباسي والأندلسي تأليف علي جواد الطاهر، عبد الرضا صادق، عبد الغفار الحبوبي. بغداد : المكتبة الأهلية، ١٩٦٢م

٢١ ــ **عباس**، إحسان.

ــ الشريف الرضي. بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٩م.

٢٢ ــ **عبد علي**، عصام

ــ مهيار الديلمي : حياته وشعره. بغداد : دار الحرية للطباعة. ١٩٧٦م ــ ١٣٩٦هـ.

٢٣ ــ **فيصل**، شكري

ــ تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرىء القيس إلى ابن أبي ربيعة، الطبعة السادسة ١٩٨٢، دار العلم للملايين ــ بيروت.

٢٤ ــ **ابن كثير القرشي**، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر (٧٠١ ــ ٧٧٤هـ)

ــ البداية والنهاية في التاريخ. القاهرة : مطبعة السعادة. ١٣٥١هـ ــ ١٩٣٣م. ج١٢.

٢٥ ــ **مبارك**، محمد زكي عبد السلام

ــ عبقرية الشريف الرضي. ط٢. بيروت : المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

ــ مدامع العشاق. ط٨. بيروت : المكتبة العصرية، ١٩٧١م.

٢٦ ــ **النابغة الذبياني**، أبو أمامه زياد بن معاوية (ــ ١٨ق.هـ).

ــ ديوان النابغة الذبياني، جمع وتحقيق الطاهر بن عاشور تونس : الشركة التونسية للتوزيع.